مجلة التربية النوعية والتكنولوجيا (بحوث علمية وتطبيقية)
Journal of Specific Education and Technology (Scientific and Applied Research)
العدد الثامن – يونيو 2021

استدعاء الشخصيات التاريخية في مسرح محمد عبد الحافظ ناصف

مسرحية "أرض الله" .. نموذجًا

Summoning historical figures in the Mohammed Abdel-Hafez Nasif theater

The play "The Land of God" .. as an example

د / نهى مصطفى محروس إبراهيم

(مدرس المسرح بكلية التربية النوعية بجامعة المنوفية)

mailto::dnohaaglan1983@gmail.com

Dr. Noha Mostafa Mahrous Ebrahim

Lecturer of The Theatre

Faculty of Specific Education Al-Menufia University

ملخص بحث:

تبلورت مشكلة هذا البحث في السؤال الرئيس التالي: كيف وظف محمد عبد الحافظ ناصف استلهامه للتاريخ في نصوصه المسرحية؟. وتكمن أهمية هذا البحث في أنه يناقش قضية هامة وهي قضية استلهام كتاب المسرح للتاريخ في أعمالهم المسرحية. كما أن البحث يقف على مدى استفادة المؤلف محمد ناصف من استدعاء الشخصيات التاريخية في مسرحه. ويهدف البحث إلى التعرف على أهم القضايا والمشكلات التي أراد محمد ناصف طرحها من خلال مسرحياته عينة البحث. وأيضًا الوقوف على كيفية توظيف محمد عبد الحافظ ناصف للشخصيات التاريخية في مسرحه. ومجتمع البحث هو كل النصوص المسرحية التي قام بتأليفها محمد ناصف واستلهم موضوعاتها من التاريخ تُعد مجتمع البحث. وحدود البحث هي مسرحية "أرض الله". أما نوع البحث ومنهجه؛ فالبحث يعد هذا البحث من البحوث الوصفية في تحليل المضمون. كما يُعد هذا البحث من البحوث التاريخية. وبخصوص عينة البحث وطريقة اختيارها؛ فقد اختارت الباحثة – بالطريقة العشوائية ـ مسرحية "أرض الله" من بين خمسة نصوص استدعى فيهم محمد عبد الحافظ ناصف الشخصية التاريخية. وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج أهمها أن البحث توصل إلى أن جميع أحداث مسرحية "أرض الله" مستمدة من سيرة "العز ابن عبد السلام" التاريخية، وأن محمد ناصف لم يضف جديدًا على حياة العز ابن عبد السلام، وأن مسرحية "أرض الله" ما هي إلا مسرحة لحياة العز ابن عبد السلام السياسية، وهي هي أقرب للدراما التليفزيونية منها إلى المسرح، كما أن البحث لم يتوصل إلى قضية عصرية أراد محمد ناصف أن يطرحها أو يسقطها من خلال استدعائه لتاريخ الشيخ والفقيه الديني العز ابن عبد السلام.، كما أن مسرحية "أرض الله" تبتعد تمامًا عن مسرح الإسقاط السياسي.

الكلمات المفتاحية: مسرح محمد ناصف ، الشخصيات التاريخية

مقدمة :

التراث هو القيمة الثابتة عند كل الأمم التي تبني منه حاضرها ومستقبلها؛ لذلك ينهل منه المبدعون؛ ليعبّروا من خلاله عن وجودهم ووجود حاضرهم، وليقيموا الصلة بين الماضي والحاضر(15، ص9). كما أن استلهام التاريخ كان ومازال مادة خصبة لكثير من كتاب الدراما، وخاصة كتاب المسرح منهم؛ حيث أن "هناك لحظات في التاريخ لها ومضها الخاص، بكل ما تحوى من قيم وإيحاءات. ومن هنا تلمع جاذبيته أمام كاتب الدراما. وهذه اللحظات بالذات تشعرك أنك تعبر عن واقع تعايشه، وانك تستنبط منها رؤى المستقبل، وتمنحك إحساسًا خارقًا بالثقة بقدرة الإنسان على أن يهدم واقعه الفاسد ويبنيه من جديد"(42، ص51).

وكتاب المسرح يستلهمون التاريخ لكي يسقطوا الحقبة التاريخية التي استلهموها على أوضاعهم وموضوعاتهم الراهنة؛ فعلى سبيل المثال لا الحصر، لجأ إليه توفيق الحكيم في أكثر من مسرحية، ولجأ إليه سعد الدين وهبة في مسرحيته "يا سلام سلم الحيطة بتتكلم"، ولجأ إليه ألفريد فرج في مسرحيته "سليمان الحلبي"، ولجأ إليه رشاد رشدي في مسرحيتيه: "بلدي يا بلدي"، و"اتفرج يا سلام"، كما "لجأ إليه عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحيته "الفتى مهران"(41، ص31). كما استدعى صلاح عبد الصبور الشخصية التاريخية في مسرحيته مأساة الحلاج ، ونفس الأمر فعله عبد الرحمن الشرقاوي في مسرحية ثأر الله.

وعلى مستوى الوطن العربي "هناك الكثير من الكُتاب العرب اللذين لجأوا إلى التاريخ والموروث الشعبي ليستلهموا منهما إبداعاتهم، ويعبروا من خلالهما عن وجهة نظرهم الراهنة"(36، ص94)، ومنهم "غسان كنفاني، وعز الدين المدني، وسعد الله ونوس، وعبد الكريم برشيد، وغيرهم ؛ أولئك الذين أفادوا من التراث الإنساني وأعادوا كتابته"(49، ص10). كما أن أغلب مسرحيات وليم شكسبير مستلهمة من التاريخ، "حيث كان يستمد موضوعاته بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من التاريخ سواء في ذلك تاريخ بلاده أو من تاريخ البلاد الأخرى"(45، ص79). كما أن "برتولد بريخت عاد إلى التراث المسرحي القديم، وعرضَّ مسرحية "انتيجون" لسوفوكليس، وأخضعها لأسلوب مسرح الاسقاط السياسي"(40، ص5).

ويُعد الكاتب المسرحي "محمد عبد الحافظ ناصف" من بين كتاب المسرح المصريين الذين استلهموا التاريخ في مسرحه بكثرة، فقد استدعى الشخصيات التاريخية في خمسة نصوص مسرحية قام بكتابتها، منها أربعة نصوص كانت الشخصية التاريخية هي محور موضوع المسرحية، لذا ارتأت الباحثة أن تقوم برصد هذه الظاهرة عند هذا الكاتب، وبحث كيفية استفادته من استدعاء التاريخ. وقد قامت الباحثة بقراءة تحليلية لجميع النصوص التي استمد محمد ناصف موضوعاتها من التاريخ بشكل رئيس، وهم أربعة نصوص، ولما وجدت أن الأربعة نصوص متشابهين، كما وجدت أن جميع أحداث مسرحيات ناصف التاريخية مدونة في المواقع التاريخية على موقع الإليكتروني "ويكيبيديا"، بل متطابقين من حيث الشكل والمضمون (الغرض من استدعاء هذه الشخصيات التاريخية)، استعرضت خلاصة ثلاثة منهم بشكل مختصر، وعكفت على بحث ودراسة الرابع بشكل مستفيض ليكون نموذجًا لهذا البحث.

مشكلة البحث :

إن قضية استلهام التاريخ في الأدب بشكل عام وفي المسرح بشكل خاص كانت مثار جدل بين رجال الأدب والمسرح، ففي الوقت الذي يرى أغلب رجال المسرح أن استلهام التاريخ والتراث أمر هام بالنسبة للمسرح، وبالرغم من أن التراث والتاريخ بهما نبع لا ينتهى من الأدب الراقي، وأحداثهما لا تختلف كثيرًا عن أحداث واقعنا الراهن، كما أنهما كانا حلًا عبقريًا لكثير من المؤلفين للهروب من المسألة القضائية إلا أن "هناك بعض الكتاب والنقاد يروون إننا لا ينبغي أن نلجأ إلى التاريخ، لأن في واقعنا ما يكفى. وهذا مضحك"(42، ص51)، ومن بين هؤلاء الذين يعارضون فكرة استلهام التاريخ والتراث الكاتب المسرحي محمود دياب الذي قال: "إنني أفضل تجربة الإنسان المعاصر، ذلك أن القصص الشعبية لا تقدم فى رأيي واقعًا، بل تصورًا لفنانين مجهولين لواقع تخيلوه أو رأوه، وانطلق من خيالهم. وتناول القصة الشعبية يعنى اعادة تصور لسلسلة سابقة من التصورات، وفى تقديري أنه لكى أكون صادقًا في التعبير لابد أن أكون المكثف الأصلي للواقع الذى أكتب عنه. لابد أن ينطلق العمل بقيمته الأساسية وشخصياته من خلال احساسي الحقيقي بالحياة التي تدور حولي"(47، ص37).

وقد لاحظت الباحثة أن الكاتب المسرحي محمد عبد الحافظ ناصف تتسم أغلب موضوعات مسرحياته بأنها مستمدة من التاريخ، لذلك ارتأت أن تتناول هذه النصوص بالبحث والتحليل لترصد هذه الظاهرة في مسرحه، وتستنتج مدى استفادة محمد ناصف من هذا التاريخ، ومدى توظيف هذا التاريخ للقضية التي يطرحها محمد ناصف في مسرحياته. وقد تبلورت مشكلة هذا البحث في السؤال الرئيس التالي: **كيف وظف محمد عبد الحافظ ناصف استدعائه للشخصيات التاريخية في نصوصه المسرحية؟.**

أسئلة البحث:

1- كيف وظفَّ محمد ناصف الشخصية التاريخية في مسرحه؟
2- ما مدى استفادة محمد ناصف من التاريخ في إبداعه المسرحي؟
3- ما القضية التي أراد طرحها محمد ناصف في مسرحيته عينة البحث؟
4- ما الأسلوب الذي استخدمه محمد ناصف في كتابة مسرحيته عينة البحث؟
5- ما ملامح البنية الفنية التي بنى بها محمد ناصف مسرحيته عينة البحث؟
6- هل استخدم ناصف التاريخ للتعبير عن قضايا ومشكلات مجتمعه؟
7- ما سمات المسرح السياسي في المسرحية عينة البحث؟

أهمية البحث:

أولاً : البحث يناقش قضية استدعاء كتاب المسرح للشخصيات التاريخية في أعمالهم المسرحية.

ثانياً : البحث يقف على مدى استفادة محمد ناصف من استدعائه لشخصيات تاريخية في مسرحه.

ثالثاً : البحث مفيد لدارسي الأدب والعاملين في حقل المسرح.

رابعاً : تسليط الضوء على كاتب مسرحي لم ينل حظه الكاف من الدراسات النقدية حتى الآن.

أهداف البحث:

أولاً: التعرف على القضية التي أراد محمد ناصف طرحها من خلال مسرحيته عينة البحث.
ثانياً: التعرف علي بعض ملامح البناء الفني لمسرح محمد ناصف.
ثالثاً: التعرف على أسلوب الكتابة في النص المسرحي "عينة البحث".
رابعاً: الوقوف على كيفية توظيف محمد ناصف للشخصيات التاريخية في مسرحه.
مجتمع البحث: كل المسرحيات التي قام بتأليفها محمد ناصف واستلهم موضوعاتها من التاريخ.
حدود البحث: النص المسرحي "أرض الله" تأليف: محمد عبد الحافظ ناصف.

الإجراءات المنهجية:

- **نوع البحث ومنهجه:** يعد هذا البحث من البحوث الوصفية؛ حيث تستهدف الباحثة من بحثها "تحديد أو تقدير سمات موقف ما أو جماعة من الناس"(28، ص157). وقد استخدمت الباحثة في بحثها هذا تحليل المضمون، الذي "يستهدف دراسة المادة التي تقدمها الوسيلة الإعلامية بهدف الكشف عما تريد هذه الوسيلة أن تبلغه لجمهورها، ودراسة تأثير القراءة أو الاستماع أو المشاهدة على هذا الجمهور"(23، ص175). كما يُعد هذا البحث من البحوث التاريخية؛ حيث عادت الباحثة للتاريخ لتقف على مدى التناص بينه وبين النص المسرحي عينة البحث، فالمنهج التاريخي يهدف إلى "الوصول إلى الأحداث الماضية، وربط الحاضر بالماضي"(25، ص95).
- **عينة البحث:** النص المسرحي "أرض الله" تأليف: محمد عبد الحافظ ناصف"
- **طريقة اختيار العينة، ومبررات اختيارها**: قرأت الباحثة جميع النصوص المسرحية للكاتب محمد ناصف، ومن خلال هذه القراءة، وجدت أن هناك خمسة مسرحيات استدعى فيهم محمد ناصف شخصيات تاريخية، وهم مسرحيات: أرض الله، حضرة صاحب البطاقة، طلوع النهار أول الليل. وداعًا قرطبة، ومسرحية "نصف

امرأة"، وقد قرأت الباحثة المسرحيات الخمسة قراءة نقدية تحليلية، ثم قررت أن تختار – بالطريقة العشوائية -مسرحية واحدة فقط لتقوم بإجراء البحث عليها؛ فوقع الاختيار على مسرحية "أرض الله".

محمد عبد الحافظ ناصف: هو أديب وروائي ومؤلف دراما؛ حيث كتب العديد من المسرحيات، ونال العديد من الجوائز في مجال المسرح؛ حيث فاز بجائزة التأليف المسرحي ثلاث مرات من المجلس الأعلى للثقافة عن مسرحيات: الفلنكات، النهر، ومسرحية "أرض الله". كما فاز بجائزة تيمور للإبداع المسرحي ثلاث مرات عن مسرحيات: طلوع النهار أول الليل، المخنثون، ومسرحية "وداعًا قرطبة". كما فاز بجائزة من رابطة العالم الإسلامي عن مسرحيته "سجين الهاء والواو". وكذلك فاز بجائزة سوزان مبارك لمسرح الطفل. وقد تم عرض مسرحياته على عدة مسارح، فقد تم عرض مسرحيته "طلوع الليل من أول النهار" على قاعة مسرح الهناجر بالقاهرة، كما عرضت فرقة سوهاج القومية نفس المسرحية على مسرحها، وعرض له المسرح القومي مسرحية "الفلنكات"، وعرضت له فرقة طنطا القومية مسرحية "وداعًا قرطبة"، ونفس المسرحية عرضتها فرقتي المنوفية وبني سويف، كما عرضت له هيئة قصور الثقافة مسرحيات: الفئران الأخيرة، حضرة صاحب البطاقة، النهر، ومسرحية "باب الجنة". كما كتب محمد ناصف أيضًا مسرحيات أخرى منها: جماعة رؤى، أرض الله، مصر إيجار جديد، مينا أمير الحياة، نصف امرأة، ساعتي تكذب، وبرنيطة للأرض. كما كتب الدراما التليفزيونية للأطفال، وكتب القصة والرواية، "وصدر له عدة مؤلفات نقدية، كما ترجم بعض المؤلفات العالمية"(37، ص11). كما فاز بذهبية مهرجان الإعلام العربي في دراما الطفل. "كما شغل محمد عبد الحافظ ناصف منصب رئيس الهيئة العامة لقصور الثقافة، ويشغل حاليًا منصب رئيس المركز القومي لثقافة الطفل"(57).

استدعاء الشخصية التاريخية في مسرحية "أرض الله":

اعتمد محمد عبد الحافظ ناصف في موضوع مسرحيته "أرض الله" اعتماداً رئيساً على شخصية الفقيه الديني المعروف "العز ابن عبد السلام"؛ حيث دارت كل أحداث المسرحية حول شخصية هذا الرجل؛ لذلك فشخصية العز ابن عبد السلام التاريخية ستكون هي محور هذا البحث.

- **عرض لمسرحية "أرض الله"**

تبدأ أحداث مسرحية أرض الله بثلاثة مشاهد مسرحية أطلق عليهم المؤلف اسم توقيعات مسرحية، وهي مشاهد قصيرة جدًا، كل مشهد صفحة تقريبًا، الأول يُعبر عن معركة تدور بالسيوف والخيول، والثاني نشاهد فيه خيانة السلطان الصالح2 وهو يتودد للقائد الصليبي ويقوم بسجن الشيخ العز بن عبد السلام، ولكن القائد الصليبي يُعجب بالشيخ العز بن عبد السلام، والثالث يوضح مدى حب الناس للشيخ العز؛ لأنه كان إمام عادل وزاهد في الدنيا ولا يخشى في الحق أحد.

وبعد هذه التوقيعات الثلاثة يعرض محمد ناصف مشهد رابع أطلق عليه اسم "هامش مسرحي"، يوضح فيه بشكل مختصر نشأة الشيخ العز بن عبد السلام في رحاب الله؛ حيث كان يعمل ويعبد الله، ثم بعد هذه المشاهد الأربعة يبدأ محمد ناصف مسرحيته بتقسيمها إلى ثلاثة لوحات: اللوحة الأولى تتكون من سبعة مشاهد قصيرة. المشهد الأول نعرف من خلاله أن الشيخ العز مختلف فكريًا مع طائفة "الحشوية"، وهي جماعة منبثقة من مشايخ الحنابلة، لذلك؛ فالحشوية يضمرون الشر بالشيخ العز ويكيدون له كيدًا عند السلطان1، وفي المشهد الثاني، يذهب أحد رجال الحشوية ويطلب من العز بن عبد السلام أن يكتب له رأيه في مسألة خلق القرآن؛ فيكتبه له الشيخ، رغم إدراكه أنها مكيدة مدبرة له؛ لأن رأيه هذا مخالف لرأي سلطان البلاد.

وفي المشهد الثالث يسلم بعض رجال الحشوية الورقة التي كتبها العز بخط يده إلى السلطان؛ فيثور الأخير ثورة عارمة، ويغضب من العز غضبًا شديدًا؛ ويتفق بعض العلماء على مساندة ابن عز؛ ورفعوا مذكرة إلى السلطان يؤيدون فيها رأي العز في مسألة خلق القرآن:

شيـــــــــــخ : ماذا تريد وتقترح يا شيخ جمال الدين بن الحاجب ؟

ابن الحاجب : (بقوة) نكتب جميعا ورقة ونوقعها نعترف أن رأى العز هو الصواب

شيـــــــــــخ :(بخوف) قال العز من لا يستطيع سقط عنه التكليف.. أنا لا أستطيع مجابهة هؤلاء

ابن الحاجب: (بإصرار) أنا والمخلصون نستطيع، أيها العلماء من يريد منكم التوقيع فليوقع ومن لم يرد فهو حسبه(1، ص27).

وينتقل المؤلف إلى المشهد الرابع من اللوحة الأولى؛ حيث يعرض فيه الرسائل المتبادلة بين السلطان1 وبين ابن عبد السلام؛ ويطلب الأخير عقد مناظرة بينه وبين علماء المسلمين حول مسألة خلق القرآن؛ فيعتقد السلطان أن العز يريد خلق فتنة في البلاد؛ فيقرر معاقبة العز بتحديد إقامته في بيته، ومنعه من الفتوى؛ فيجتمع بعض علماء الدين – في المشهد الخامس- مع كبير علماء الحنفية وهو الشيخ جمال الدين الحصري، وهذا الشيخ له مكانة مرموقة عند سلطان البلاد، ويقص هؤلاء العلماء ما حدث بين السلطان وبين العز ابن عبد السلام؛ فيغضب الشيخ الحصري، ويذهب إلى السلطان، ويطلب منه التراجع عن قراراته المتعلقة بابن عبد السلام؛ فيستجيب السلطان فورًا تقديرًا لمكانة الشيخ الحصري.

وفي المشهد التالي، يستغل قائد جيش التتار تناحر الحكام العرب فيما بينهم على السلطة؛ ويوجه رسالة تحذير إليهم بتسليم بلادهم أو خوض حرب شعواء ضدهم لا قِبل لهم بها. وفي المشهد السابع من اللوحة الأولى؛ يحتضر السلطان1، ويستدعي الشيخ العز ابن عبد السلام ليطلب منه العفو والسماح لما بدرَّ منه تجاهه؛ فيسامحه العز، ويطلب منه أن يوجه جيشه إلى الشرق لمحاربة العدو الحقيقي للأمة الإسلامية؛ فيستجيب السلطان1 لطلبه؛ ويأمر قائد جيوشه بهذا الأمر.

ويبدأ المشهد الأول من اللوحة الثانية، بوفاة السلطان1، وتولية السلطان2 (شقيق السلطان1)، ويسود الفساد في أرجاء البلاد، وتنتشر الرذيلة؛ بسبب أوامر السلطان2 بمنح الحرية المطلقة لأفراد الشعب دون مراعاة لدين أو قيم إنسانية، كما يأمر بأن يتحرك جيش البلاد من الشرق إلى الغرب لمحاربة الجيش المصري؛ حيث يعتقد السلطان2 أن السلطان الكامل (سلطان مصر) يطمع في حكم الشام؛ ويغضب العز ابن عبد السلام من أسلوب حكم السلطان2، ويرسل إلى السلطان الكامل لكي يتدارك الأمر؛ ويأتي السلطان الكامل على الفور إلى الشام، ويعنف السلطان2، ويأمره بأن يعيد الأمور إلى نصابها الصحيح، كما يأمره بتعيين الشيخ العز ابن عبد السلام كبيرًا لعلماء المسلمين في البلاد؛ هذا بالإضافة إلى قراره بضم بلاد الشام تحت حكم مصر. ولكن بعد وفاة السلطان الكامل يعيد السلطان2 الأمور إلى سابق عهدها.

المنادى : يا أهل دمشق، اسمعوا وعوا ، مات الكامل وعادت الأمور لسابق عهدها تحت إمرة السلطان الصالح(1، ص49).

وينتقل كاتب المسرحية إلى المشهد الثالث من لوحتها الثانية، ويعرض فيه تحالف السلطان2 مع الصليبيين، وعدم استجابته لاستغاثة سلطان مصر – الذي خَلَفَ السلطان الكامل في حكم مصر- به لكي يسانده في حربه ضد الصليبيين؛ فيقرر السلطان3 (حاكم مصر) توحيد العرب أولًا قبل دخوله في حرب ضد الصليبيين. وكان الصليبيون قد انتشروا في كل أنحاء بلاد الشام ونشروا الفساد فيها؛ الأمر الذي أشعل نار الغضب في قلب الشيخ العز ابن عبد السلام؛ فقرر قيادة مظاهرة ضد سلطان الشام. ونتيجة لهذه المظاهرة قرر السلطان2 معاقبة العز ابن عبد السلام بنفيه خارج البلاد، وبالفعل رحل العز إلى مصر.

وتبدأ اللوحة الثالثة بتوقيعة مسرحية، يوضح فيها مؤلف المسرحية أن العز استقر به الرحال في مصر، وبالتحديد في جامع الأزهر الشريف؛ حيث بدأ يُعطي دروسه الدينية للناس. وفي المشهد الأول من هذه اللوحة يستعرض محمد ناصف حال مصر، وكيف زاد فيها نفوذ المماليك، وكيف نشروا الفساد بين ربوعها؛ فيبدأ العز ابن عبد السلام في التصدي لهذه الأمور؛ فيلتف حوله عدد كبير من الشعب المصري، ويقود مسيرة إلى مبنى للهو والرقص لكي يزيله، وهذا المبنى كان قد بناه الوزير "معين الدين" فوق أحد المساجد، ومعين هذا هو من رجال السلطان3، فيغضب السلطان3، ولكنه لم يستطع فعل أي شيء؛ لأن العز ابن عبد السلام كان قد سبق قراره، واستقال من جميع المناصب التي يشغلها في البلاد. كما أفتي الشيخ ابن عبد السلام بأن المماليك هم عبيد ولا يجوز بأن يتزوجوا من المسلمات الأحرار؛ فساءت أحوال المماليك في مصر نتيجة لهذه الفتوى، هذا بالإضافة إلى أن الناس بدأوا يعاملونهم معاملة العبيد؛ فغضب رجال المماليك وشكوا إلى السلطان؛ فقرر السلطان

طرد العز ابن عبد السلام من مصر؛ وشرع العز في مغادرة مصر، ونتشر الخبر في ربوع مصر؛ فقرر عدد كبير من الناس بأن يرحلوا مع الشيخ العز، ويصل الخبر إلى السلطان؛ فهرع وراء ركب العز ويلحق به، ويعتذر للشيخ العز، ويطلب منه العودة إلى داره؛ فيشترط عليه العز بأن يعرض المماليك في سوق العبيد، وأن يقوم هو (أي السلطان) بشرائهم ويعتقهم، فيصبحوا أحرارًا ، مثلهم مثل المصريين الأحرار، ويحق لهم وقتئذ الزواج من المصريات الأحرار؛ فيستجيب السلطان لطلبات العز ابن عبد السلام، وتنتهي المسرحية.

الفكرة الأساسية أو المقدمة المنطقية في مسرحية "أرض الله":

المقدمة المنطقية هى "الفكرة الأساسية للرواية، أو الغرض الذى تهدف إليه"(31،ص44). ومن العرض العام السابق لدراما النص المسرحي "أرض الله" تستنتج الباحثة أن محمد ناصف استمد موضوع مسرحيته من استدعاء شخصية الفقيه الديني "العز ابن عبد السلام" من التاريخ، وبالتحديد من سيرة الشيخ العز ابن عبد السلام، واستعرض في مسرحيته جزءاً من حياته، وهو الجزء الخاص بمحاربة هذا الفقيه الديني لكثير من صور الفساد في عصره، ووقوفه في وجه الظلم، حتى لو أدى هذا الأمر إلى غضب الحاكم. والفكرة الأساسية للمسرحية - التي توصلت إليها الباحثة من خلال قراءتها النقدية لهذه المسرحية - هي أن "الحق أحق أن يتبع"، وربما كانت الفكرة التي أراد أن يوصلها محمد ناصف للقارئ هي: ضرورة تصدي رجال الدين للظلم حتى لو أدى الأمر إلى مواجهة الحاكم نفسه. ولكن الفكرتان كان من السهل أن يتحققا بأي حبكة درامية أخرى دون اللجوء إلى التاريخ لتحقيق ذلك، فلماذا لجأ محمد ناصف إلى التاريخ؟!، وماذا أراد أن يقول من خلال هذا الأسلوب؟!. الإجابة في السطور القادمة من البحث.

نبذة عن العز ابن عبد السلام:

هو أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن حسن السُّلَمي الشافعي، وهو من مواليد دمشق بالشام عام 1181م، وتعلم بدمشق علوم اللغة العربية وعلوم الشريعة الإسلامية، وبرع فيهما، حتى أنه تولى الخطابة في المسجد الأموي، بالإضافة إلى تدريسه علوم الفقه في هذا الجامع لطلاب العلم. وقد اجتهد في علوم القرآن الكريم والفقه والسيرة النبوية، حتى ذاع صيته والتف حوله الناس، وأصبح طلاب العلم يأتون إليه من كل حدب وصوب، وأصبحت له شعبية كبيرة عند الناس؛ بسبب علمه الغزير وتقواه وورعه وزهده، وحبه الشديد للعدل ونصرة المظلومين والمستضعفين، ووقوفه ضد أي ظلم يقع على الناس حتى لو كان من الحاكم؛ مما عرضه لكثير من المشاكل مع الحكام. وتولى العز ابن عبد السلام منصب مفتي الشام، وبعد رحيله إلى مصر ولاه حاكمها منصب قاضي قضاة مصر، كما عينه خطيب مسجد عمرو بن العاص. "وفي فترة وجوده في مصر حرضَّ الناس على ملاقاة التتار وقتال الصليبيين، وشارك في الجهاد بنفسه، ومات بالقاهرة سنة 660هـ (1262م) ودُفن بها"(52).

التاريخ بين دراما مسرحية "أرض الله" وحياة "العز ابن عبد السلام":

التناص هو "الحضور الحرفي لنص ضمن نص آخر"(16، ص27)، كما يعني أيضاً "الاتصال"، "أي اتصال شيء بشيء، أو تلاصق شيء بشيء، مثل تناص الناس تعني ازدحموا، والتناص اصطلاحًا يعني التداخل"(55). وقد تناول محمد ناصف جزء كبير من سيرة الفقيه الديني "العز ابن عبد السلام"؛ وفي السطور التالية سوف تستعرض

الباحثة الأحداث الدرامية التي جاءت في النص المسرحي –عينة البحث- وتقارنه بالجزء التاريخي من سيرة العز ابن عبد السلام؛ لتقف على مدى أوجه التشابه والاختلاف بين دراما مسرحية "أرض الله" ودراما الواقع المتمثلة في الأحداث التاريخية في حياة العز ابن عبد السلام.

استدعاء الشخصية التاريخية "العز ابن عبد السلام" في نص "أرض الله":

منذ بداية المسرحية، وناصف يغرف من تاريخ "العز ابن عبد السلام" غرفًا ويصب في مسرحيته دون أي إضافة من عنده، حتى لو كانت إضافة ضئيلة، وتاريخ العز ابن عبد السلام متاح للجميع على مواقع "الإنترنت"، ويوجد موقع خاص لتاريخ العز ابن عبد السلام على ويكيبيديا؛ حيث وجدت فيه الباحثة كل ما جاء في مسرحية "أرض الله" دون أي إضافات من المؤلف أو أي إسقاط على أي عصر من العصور خلاف العصر الذي عاش فيه العز ابن عبد السلام. ولكي تكون الباحثة أكثر مصداقية في بحثها سوف تستعرض المسرحية مشهدًا مشهدًا، وحدثًا حدثًا؛ علها تصل إلى أي اختلاف بين الحدث الدرامي والحدث التاريخي:

الحدث الدرامي: توقيعة مسرحية(1)، حوار بين قائد الصليبيين المتحالف ضد الصالح رقم3 ويوجد بجوارهما مكان لسجن الشيخ العز ابن عبد السلام، ونعرف من خلال الحوار أن السلطان يتودد ويتقرب من قائد الصليبيين، ويعلن له أنه سجن العز ابن عبد السلام من أجل عيون الصليبيين؛ لأن العز كان معارضًا لغزو الصليبيين لبلاده، ولكن قائد الصليبيين يُعجب بشجاعة العز ويقول للسلطان:

القائدة الصليبي: (بتعجب) لو كان هذا الشيخ لدينا قسيسا، لغسلنا رجليه بماء الورد وشربنا مرقتها وحقنًا بالباقي أوردة الخونة والمرتدين(1، ص11).

- الحدث التاريخي: كان العز ابن عبد السلام من أشد المعارضين للغزو الصليبي لبلاد الشام، وكان هذا ضد رغبة السلطان الصالح إسماعيل؛ فاعتقله السلطان وجرده من كافة مناصبة، وسجنه في خيمة بجوار خيمته، ثم ساومه السلطان بأن يعفو عنه ويعيده إلى مناصبه ويمنحه مزايا كثيرة، ولكن الشيخ رفض كل الإغراءات التي عرضها عليه السلطان، وفضلَّ السجن من أن يبيع بلده وضميره؛ وأراد السلطان الصالح إسماعيل أن يُظهر أمام الصليبيين بما فعل بالعز، وكان العز يقرأ القرآن، فقال لملوك الصليبيين: "تسمعون هذا الشيخ الذي يقرأ القرآن؟" قالو: "نعم"، قال: "هذا أكبر قُسُوس المسلمين، وقد حبسته لإنكاره عليَّ تسليمي حُصُون المسلمين، وعزلته عن الخطابة بدمشق وعن مناصبه، ثم أخرجته فجاء إلى القدس، وقد جَدّدتُ حبسه واعتقاله لأجلكم"، فقالت له ملوك الفرنج: "لو كان هذا قِسِّيسَنا لغَسلنا رجليه وشربنا مَرَقَتها"(52).

وفي التوقيعة الثانية يعلن فيها المؤلف -في سطور قليلة- عن موت الشيخ العز، وأصوات تبكيه. وهذا لا يختلف مع التاريخ.

- الحدث الدرامي: مشهد بعنوان "هامش مسرحي": دار هذا الحدث المسرحي في كلاسة مسجد دمشق في طقس شديد البرودة، والشيخ العز في صباه ينام في هذه الكلاسة، ويحتلم؛ فيستيقظ ويغتسل، ثم ينام ثانية؛ فيحتلم مرة أخرى؛ فيستيقظ ويغتسل، وينام مرة أخرى؛ فيحتلم مرة ثالثة؛ فيصحو ويغتسل أيضًا:

الفتـــــى : يا ربي .. ثالثة .. إن البرد اخترق العظم ، كيف سأواجه ذلك ثالثة ؟
الصوت : قلت لك .. يا بني
الفتـــــى : لا يهم .. أفعلها ثالثة، فالبشر مازال موجودًا والنفس دوما تشتاق للطهر
الصوت : تعقل وإلا ستموت
الفتـــــى : أموت نظيفًا خيرا من دنس (...)
الراوي : وتعلم الفتى كيف يسيطر على نفسه...(1، ص ص16-17).

- الحدث التاريخي : كان العز ابن عبد السلام يبيت في كلاسة المسجد الأموي؛ لأنه كان فقيرًا، "فبات بها ليلة ذات برد شديد، فاحتلم، فقام مسرعًا ونزل في بِركة الكلّاسة، فحصل له ألم شديد من البرد، وعاد فنام، فاحتلم ثانيًا، فعاد

إلى البِركة؛ لأن أبوابَ الجامع مُغلقةٌ، وهو لا يمكنه الخروج، فطلع فأُغمي عليه من شدة البرد"[52]. والذي يقرأ هذا الحدث التاريخي على موقع العز ابن عبد السلام؛ ويقرأ هذا الحدث الدرامي في نص "أرض الله"؛ سيستنتج أن الحدثان متشابهان تمامًا، حتى في عدد الكلمات، والفرق الوحيد أن محمد ناصف أخذ الكلام المقالي ووضعه في صورة حوار مسرحي بين ثلاثة شخصيات هم: الفتى (العز ابن عبد السلام) وصوت شخصية (لم تظهر على المسرح) وشخصية الراوي، وهذه الأخيرة تعلق على الأحداث مثل المؤرخ التاريخي تمامًا.

- **الحدث الدرامي:** في المشهد الأول من مسرحيته –عينة البحث- يستعرض محمد ناصف مشاعر الكراهية الكامنة في صدور طائفة "الحشوية" -طائفة تتبع الحنابلة- تجاه العز ابن عبد السلام، ولكي يحدثوا الوقيعة بينه وبين سلطان البلاد، أرسلوا رجل إلى مجلس العز ليستفتيه في أمر خلق القرآن، ويطلب منه أن يكتب له فتواه بخط يده، وهم يعرفون أن هذه الفتوى تخالف معتقدات السلطان:

العز : أنت من الحشوية يا رجل؟

الرجل : **(يتلجلج)** سيدي.

رجـــل2 : لا تكتب له شيئا يا سيدى إنه جاسوس.. من الفئة الباغية

رجل3 : إنهم يريدون قلب السلطان عليك

العـــــــــز : لا حاجة لى عنده ، حاجتي عند ربى، وهذه الفتية امتحان لي ،أرسب فيها لديهم ولدى سلطانهم، وأنجح عند ربى ، والله لن أكتب فيها إلا الحق(1، ص ص23-24).

- **الحدث التاريخي:** نفس الحدث الدرامي السابق موجود كما هو على موقع العز ابن عبد السلام، ولكن في صيغة مقال تاريخي؛ وتختصرها الباحثة في السطور التالية: "كانت طائفة من الحنابلة يكرهون الشيخ عز الدين ابن عبد السلام، ويطعنون فيه؛ فلما أخذ السلطان في الميل إلى الشيخ عز الدين دسّت هذه الطائفة إليه، وقالوا: إنه أشعري العقيدة، فلم يصدقهم السلطان؛ فأرسلوا رجل منهم إلى الشيخ العز ابن عبد السلام؛ لكي يطلب منه أن يكتب له رأيه في مسألة خلق القرآن، ثم بعد ذلك يرسلوا هذه الفتوى إلى سلطان البلاد. وكان الشيخ العز قد وصله كل ذلك، فلما جاءته الفتيا قال: "هذه الفتيا كتبت امتحانًا لي، والله لا أكتب فيها إلا الحقّ"[52].

- **الحدث المسرحي:** في المشهد الثالث من المسرحية - عينة البحث- يجتمع كل علماء الشام على سماط السلطان الأشرف، وينتهز "الحشويون" الفرصة ويعطون السلطان الورقة التي بها فتوى العز ابن عبد السلام؛ فيغضب السلطان من العز ابن عبد السلام غضبًا شديدًا، وفي نفس المشهد يجتمع بعض من كبار علماء المسلمين ويقررون التضامن مع الشيخ العز:

السلطان : أنا لا عقل لي وما أؤمن به بعيد عن السلف الصالح.. **(بغضب شديد)** كيف؟، هذا رجل كنا نعتقد أنه وحيد زمانه، متفرد في العلم والدين؛ فظهر بعد الاختبار أنه من الفجار، نعم من الفجار.. بل من الكفار (1، ص26).

- **الحدث التاريخي:** المشهد السابق موجود بكل تفاصيله في موقع العز ابن عبد السلام، بل موجود ببعض جمله الحوارية، كما هو موضح من السطور التالية: "فأوصلوا الفتيا إلى الملك الأشرف رحمه الله، وذلك في حفلة الإفطار في رمضان بالقلعة، وعنده عامة الفقهاء من جميع الأقطار، فلما وقف عليها استشاط غضبًا، وقال: "صح عندي ما قالوه عنه، وهذا رجل كنا نعتقد أنه مُتوحِّد في زمانه في العلم والدِّين، فظهر بعد الاختبار أنه من الفُجّار، لا بل من الكفار"[52].

- **الحدث المسرحي:** مشهد (4)، يتضمن رسائل متبادلة بين السلطان والعز ابن عبد السلام، ويدور سجال بينهما حول فتوى الأخير في القرآن؛ ويطلب العز من السلطان عقد مناظرة بينه وبين علماء الحنفية وباقي علماء المسلمين ولكن السلطان يرفض طلبه ويتهمه بأنه يريد إحداث فتنة في المجتمع، ولكن العز ابن عبد السلام يرد عليه بالحوار التالي:

العـــــــــــــز : بسم الله الرحمن الرحيم.. السلام على من اتبع الهدى، إنما الدين النصيحة ونصيحة الملوك تكون بإرشادهم لأحكام الله ، والفتية التي كتبتها يوافق عليها العلماء من الشافعية والمالكية والحنفية، وفضلاء الحنابلة وما يخالف ذلك إلا رعاع لا يعبأ بهم، وليس رد البدع

وإبطالها من إثارة الفتن، وأما بشـــأن المذهب الخامس فالدين واحد لا مذاهب فيه، وإنما الاختلاف في الفروع(1، ص29).

- **الحدث التاريخي:** "ولما وصلت الرسالة للشيخ العز قرأها وطواها، وشرع بالجواب بأشد منها، وأبلغ من سابقتها، ومما جاء فيها: "وأما طلب المجلس وجمع العلماء، فما حملني عليه إلا النصح للسلطان وعامة المسلمين، وليس ردُّ البِدع وإبطالها من باب إثارة الفتن، فإن الله سبحانه أمر العلماء بذلك، وأمرهم ببيان ما علموه، ومن امتثل أمر الله ونصر دين الله، لا يجوز أن يلعنه رسول الله، وأما ما ذكر من أمر الاجتهاد والمذهب الخامس، فأصول الدين ليس فيها مذاهب، فإن الأصل واحد، والخلاف في الفروع(52). وواضح مدى التطابق بين الحدثين، بل في الجمل الحوارية بينهما.

- **الحدث المسرحي:** وفي نفس المشهد غضب السلطان من رد الشيخ العز وقرر أن يعاقبه بأن يلزم بيته ولا يبرحه أبداً، ولا يجتمع مع أحد، كما منعه من الفتوى، وقد قبلَّ العز هذه الشروط الثلاثة بكل أريحية:

السلطان1: (بحدة و غضب) إنا شرطنا عليه ثلاثة شروط، لا يفتى بعد اليوم ولا يجتمع بأحد، ويلزم داره **(يظلم جانب السلطان ويضاء جانب العز ثم ينسحب السلطان1 خارجا، ويضاء المسرح كله)**

العـــــــز : يا غرز.. إن هذه الشروط من نعم الله تعالى وإنها لموجبة الشكر والحمد وأحمد الله أنه أكرمني بها.

الغرز : كيف يا سيدي؟.

العـــــــز : أما الفتيا فإني كنت والله متبرما منها، وأعتقد أن المفتي على شفير جهنم، ولولا أن الله أوجبها لتركتها والآن فقد عذرني ربى، وسقط عنى الوجوب وتخلصت ذمتي ولله الحمد والمنة، ولزوم بيتي.. فما أنا في بيتي الآن وإنما في بستان.

(...)

العـــــــز : لقد حملت لي البشارة ولا امتلك إلا هذه السجادة، خذها وصل عليها يا غرز

الغـــــــرز : (يأخذها بفرح) طيب ولا تهدى إلا طيبا(1، ص30).

- **الحدث التاريخي:** "ولمّا جاء أستاذ الدار "الغِرْز خليل" برسالة الملك الأشرف بدمشق للشيخ العز بعزله عن الإفتاء، وعدم الاجتماع بأحد ولزوم بيته، تقبل العز هذه الأمور بصدر رحب، واعتبرها هدية من الله تعالى، وقال للغرز: "والله يا غِرز، لو كانت عندي خِلعةٌ تصلح لك على هذه الرسالة المتضمنة لهذه البشارة، لخلعتُ عليك، ونحن على الفتوح، خذ هذه السجادة صلّ عليها"؛ فقبِلها وقبَّلها، وودّعه وانصرف إلى السلطان(52). وواضح هنا مدى التشابه، بل التطابق بين الحدثين.

- **الحدث المسرحي:** في المشهد الخامس يتدخل الشيخ الحصري (شيخ الحنفية) لحل مشكلة الشيخ العز مع سلطان البلاد، ويستجيب السلطان لوساطة الشيخ الحصري:

السلطان 1 : ... **(للشيخ الحصري)** على أية حال نستغفر الله ، بعد رأيك القاطع هذا نكون قد أسأنا للعز وعلينا أن نستدرك الفارط في حقه.. والله لأجعله أغنى العلماء، من حقنا الآن أن تشرب شرابنا وتتناول طعامنا.

الحصـــــري : لا بأس.. طالما وصل الحق أهله وعرفت بأنه على حق وصدق(1، ص33).

- **الحدث التاريخي:** "وبقي العز ابن عبد السلام ثلاثة أيام، حتى قام الشيخ العلامة جمال الدين الحصري شيخ الحنفية في زمانه، وكان له مكانة عالية عند الملك، فدخل عليه وبيّن له فضل الشيخ العز، وصحة ما يقول. وهنا قال السلطان: "نحن نستغفر الله مما جرى، ونستدرك الفارط في حقه، والله لأجعله أغنى العلماء"(52).

- **الحدث المسرحي:** في المشهد السابع يرقد السلطان الصالح1 وحوله الشيخ العز، ويطلب السلطان من ابن عبد السلام أن يصفح عنه، ويدعو له الشيخ، ويطلب من السلطان أن يأمر بإنهاء المظالم ونشر العدل بين الناس وتطبيق شرع الله؛ فأمر السلطان أخيه "إسماعيل" (ولي العهد) أن ينفذ ما طلبه الشيخ ابن عبد السلام:

السلطان1: (يحتضر والنفس يروح ويجئ بصعوبة)، لا تهفو النفس إلا لقريب، تهواه وتسعد لرؤيته ساعة، قد لا تتلاقى الأعين ثانية ويسافر كل منا فى طريق، أرهقتك يا عز حين طلبتك وكم أرهقتك سلفا.. هل تصفح؟

العـــــــز : فليصفح عنا الله جميعا وليقبلنا عنده بلا ذنب، أو جرم ...(1، ص ص 37-39).

- **الحدث التاريخي:** "ولما مرض الملك الأشـرف موسـى مرض الموت، طلب من العز بن عبد السـلام الزيارة والنصح والدعاء، فأشار عليه العز بإبطال المنكرات ورد المظالم، وتطبيق الشرع والالتزام بالقرآن والسنة، فأمر السـلطان المريض أخاه إسـماعيل (الذي يتولى السـلطنة بالنيابة) بتنفيذ ما أمر به الشـيخ العز، وإبطالِ ما يرى إبطالَه"(52).

- **الحدث المسـرحي:** في المشـهد الأول من اللوحة الثانية يحلل السـلطان2 -الذي تولى الحكم بعد وفاة أخيه السلطان1- ما حرمه الشيخ العز في ظل حكم أخيه، ومنها اللعب بالبندق:

رجـــــل : سمعت أنك قد حرمت اللعب بالبندق ؟

العـــــــــز: نعم يا بنى .. إنه يكسر العظم ويفقأ العين، قلتها له وهو صـغير .. البندق حرام، لكنه لم ينسها، ما أردت إلا إصلاحه، وما حرمتها إلا لخوفي عليه أن يؤذى أحدا، فليفرح قليلا وليحزن كثيرا(1، ص45).

- **الحدث التاريخي:** "سـأل الكاملُ العزَّ عما يصـدر من أخيه الملك إسـماعيل بحضـوره من هواية رمي البندق، وهل يجوز ذلك؟ فلم يتهيب العز من بيان الحق والحكم الشرعي، فقال: "بل يحرم عليه، فإن رسول الله نهى عنه وقال: "إنه يَفْقَأُ العين، ويَكسِر العظم""(52).

- **الحدث المسـرحي:** في المشـهد الثاني من اللوحة الثانية يأمر السـلطان الكامل السـلطان2 بأن ينفذ أوامر العز بخصـوص تحريم المنكرات ومنعها، فيرضـخ السـلطان2 وينفذ أوامر السـلطان الكامل، ولكن بعد موت الأخير يتراجع عن كل قراراته، ويعزل الشيخ العز، وتعود المنكرات والمسكرات للبلاد مرة أخرى:

المنادى : يا أهل دمشـق، اسـمعوا وعوا ، مات الكامل وعادت الأمور لسـابق عهدها تحت إمرة السلطان الصالح

السكير: (بفرح، يضحك) ألم أقل لك أيها الجندي ؟ عادت إلى سابق عهدها ..

جندى : (بخوف) كيف.. **(يتركه)** كيف ؟!

السكير: أعطني زجاجتي يا هذا وإلا ؟.. قلت لهم أنك حزين على الكامل **(يرمى له الجندي بالزجاجة)**

السكير: (يشرب باستمتاع غريب) ، عادت **(يصفق)** إلى سابق عهده.. **(تقترب امرأة في خوف)**

امـــــــرأة: أخشى من هذا، سيعودون يخدشون الحياء ويقطعون السكينة، ويمزقون الأمن إربا، لك الله يا دمشق.. لك الله يا دمشق!!(1، ص49).

- **الحدث التاريخي:** وقد عزلَ الشيخ العز نفسه من مناصبه ثلاث مرات، الأولى: لما عينه الملك الكامل قاضيًا في دمشق ثم مات بعد وقت قصير، فوجد الملك إسماعيل الفرصة مواتية لعزل العز من القضاء"(52). والشيخ العز فعلَّ هذا بعد أن تراجع سلطان البلاد في قراراته، وأباح المنكرات وحلل الحرام.

- **الحدث المسرحي**: ويتناول موقف العز من تحالف سلطان البلاد مع الصليبين؛ حيث ثار العز ضد هذا التحالف وقاد مظاهرة حاشدة، انتهت في المسجد الأموي؛ حيث صعد العز على المنبر وأخذ يندد بهذا الأمر، بل حرضَّ العامة على السلطان:

العـــــــز: (بهدوء) لديك بعض الحق يا بنى.. سـأكون مناديا للحق، سـأمر بين الناس و أعلن ما أفتيت به لهم.. **(ينادى ويسـير رجل وراءه يحمل طبلة)**.. يا أهل دمشـق، يا أهل الشـام، من باع للفرنجة أو اشترى آثم.. فكل بيع لهم حرام ومن أرتكب شيئا من ذلك.. فقد خان الله و رسوله ولا ذمة له ومهدر دمه وماله مباح..

الجميع : نعم ، نعم ، هو الرأي.. **(ينضـــم إلى الجمع الكثير وتتحول إلى مظاهرة يتقدمها العز حتى المسـجد الأموي.. فيخطب فيهم بعد ذلك، يقترب منه العسـكر، يقبضـون عليه ويضـربون الناس فيهربون تاركين الشيخ.. يقتاده الجند إلى السجن)**

العـــــز : **(بحزن)** اللهم انصـر دينك وأمتك وأنزل عليهم كسـفا من السـماء.. وأعز أولياءك وأذل أعداءك.. **(تظلم خشبة المسرح) (العز وراء قبضـان السـجن، بقعة ضـوء مسـلطة عليه)..** تريدونني أن أخيط فمي، مقابل ماذا ؟ لا شـــيء يفيد ..، فمناصـــب كل الدنيا زائلة لا تنفع صاحب عدل، فالصمت سجن العارف للحق(1، ص55).

- **الحدث التاريخي:** هذه الحادثة مكتوبة بالتفصيل على موقع العز ابن عبد السلام؛ ومفادها أن الشيخ العز ثار ثورة عارمة ضد تحالف سلطان البلاد مع الصليبين، وحرم بيع السلاح للصليبين تحريمًا قاطعًا، وقال في ذلك: "يَحْرم عليكم مبايعتهم، لأنكم تتحققون أنهم يشترونه ليقاتلوا به إخوانكم المسلمين"، ثم صعد منبر المسجد الأموي الكبير، وذمَّ موالاة الأعداء، وقبّح الخيانة، وشنّع على السلطان، وقطع الدعاء له بالخطبة، وصار يدعو أمام الجماهير بما يوحي بخلعه واستبداله (52).

- **الحدث المسرحي:** يتناول المشهد الرابع من هذه اللوحة غضب السلطان من العز وقراره بتحديد إقامته ومضايقته ثم قراره بنفيه إلى خارج البلاد، وقد خرجَّ العز متجهًا إلى مصر:

العـــــز: إلى أين أسير؟
الغـــرز: أى مكان ترغب..
العـــــز: أرض الله واسعة.. هل أقصد مصر؟
الغـــرز: اهبطوا مصر فإن لكم فيها ما سألتم(1، ص59).

- **الحدث التاريخي:** هذه الحادثة موجودة بالتفصيل على ذات الموقع التي ذكرته الباحثة في السطور السابقة، وتلقى العز العزل راضيًا مرضيًّا، ولكنه ضاق بالإقامة الجبرية وتعطيل العمل المسؤول عنه شرعًا؛ فقرر مغادرة دمشق، واتجه إلى مصر عن طريق القدس سنة 638هـ (52).

- **الحدث المسرحي:** تنتهي اللوحة الثانية من المسرحية وتبدأ اللوحة الثالثة منها بوجود العز ابن عبد السلام في مصر وتعيينه في منصب مفتي مصر، ويتناول المؤلف في المشهدين الأول والثاني فيها ثورة الشيخ العز ابن عبد السلام على "معين الدين" وهو يشغل منصب وزير السلطان أحيانًا، وذلك عندما أقام معين الدين دار للطبل والغناء فوق أحد المساجد، وقد قاد العز الناس لهدم هذه الدار، وذلك بعد أن قام بعزل نفسه من منصبه:

زعـــــــرب: (بسـخرية) نحن نشـرد في الصـلاة لأقل سـبب، فما بالكم وفوق رؤوسـنا طبل ورقص **(يرقص)**، سوف تشرد رؤوسنا في دروب الإيقاعات!!
الصبـــــى: قد يعفوك يا سيدى من المنصب.
العـــــــز: أعلن أمامكم أنني أعفيت نفسـى من المنصـب فلا أود منصـبا من جور يطوق نفسـى ويربط لسـاني عن قول الحق، الذى سـوف أقوله حتما، فليسـقط المنصـب ويسـقط العز إن انشغل به(1، ص73).

- **الحدث التاريخي:** القصة موجودة كما وردت بالمسرحية على موقع العز ابن عبد السلام، وقد عزل العز نفسه قبل أن يقود مسيرة لهدم "الطبلخانة" التي بناها الوزير "معين الدين" فوق المسجد "وإسقاط عدالة معين الدين أستاذ دار السلطان، فهدم العز البناء بنفسه وحكم بفسق الوزير وأسقط شهادته، وعزل نفسه عن القضاء(52).

- **الحدث المسرحي:** وفي المشاهد من الثالث وحتى السادس من هذه اللوحة يتناول محمد ناصف موقف العز ابن عبد السلام من مماليك مصر؛ فقد أفتى بأنهم في منزلة العبيد لا يجوز الزواج منهم، ولا إبرام العقود معهم، مما جعل الناس يستهزءون بالمماليك ويعدونهم من العبيد؛ وهذا الأمر أغضب المماليك وعلى رأسهم نائب السلطان، الذي أبلغ شكواه للسلطان كما أبلغه بأنه أمرَّ العز بأن يرحل عن مصر:

النائـــــــب: أنت الآن تهدد حياتنا وتقلبها رأسًـــا على عقب، تجردنا من كل ما نملك وتقوض حلما يراود الجميع، لن نسمح لك يا شيخنا، سنقوض حلمك نحن.

العـــــــز: لا حلم لي؛ فالأمر لدى سـواء.. أحببت أم كرهت، رضـيت أنت وغيرك أم رفضـت يا نائب السلطان.

النائـــــب: أنت الآن تضـع البلاد في حالة من الفوضـى، وتعرض أمنها وأمان الناس للخطر، من سيحارب عنكم يا شيخ ساعة الخطر؟، من يستعد الآن لمواجهة التتر والصليبيين؟

العـــــــز: ولم لا تحاربون وأنتم أحرار، تملكون أنفسكم ولستم عبيدا؟.

النائـــــب: إما أن تسـكت وتسـحب فتواك أو ترحل من حيث أتيت، تعود لتتلظى ثانية بنار حكام الشام(1، ص ص 81-82).

ـ **الحدث التاريخي:** المشاهد الأربعة السابقة موجودة كما هي في تاريخ العز ابن عبد السلام، ومدونه على مواقع كثيرة بشبكة "الإنترنت"، وتكتفي الباحثة هنا باقتباس وصياغة عدة جمل بسيطة للبرهنة على صحة ما تقول: "وكان سلطان مصر قد استعان ببعض المماليك ليستخدمهم كجنود لتقوية جيشة، وزاد نفوذ هؤلاء المماليك في البلاد حتى وصل أحدهم لمنصب نائب السلطان، وفي هذه الأثناء أفتى الشيخ العز ابن عبد السلام أن هؤلاء المماليك في حكم العبيد، وأنه لا يجوز أن يبرموا العقود أو يتزوجوا من أحرار، ولا تصح ولايتهم، وهذه الفتوى أغضبت المماليك وعلى رأسهم نائب السلطان، الذي ذهب إلى الشيخ على رأس عدد من المماليك وساوموا الشيخ على التراجع عن فتواه أو الرحيل عن مصر؛ ففضلَّ الشيخ أن يرحل عن مصر، وكان هذا الأمر بعلم سلطان البلاد؛ حيث كان المماليك قد رفعوا الأمر إلى السلطان أيوب، فبعث إليه وراجعه، فلم يرجع، فجرت من السلطان كلمةٌ فيها غلظة على العز، وحاصلها الإنكار على الشيخ في دخوله في هذا الأمر الذي لا يعنيه ولا يتعلق به(52).

ـ **الحدث المسرحي:** وفي المشاهد السابع والثامن والتاسع والأخير من هذه اللوحة الثالثة والأخيرة من مسرحية "أرض الله" يتناول المؤلف فيهم شروع العز ابن عبد السلام مغادرة مصر؛ حيث نراه يجمع الأشياء المهمة من منزله، ويضعها على حماره، ويضع أحفاده على حمار آخر، ويبدأ التحرك لمغادرة القاهرة، وينتشر الخبر في أنحاء البلاد؛ فيقرر كثير من الناس مغادرة القاهرة مع الشيخ العز، ويصل الخبر إلى سلطان البلاد؛ فيشعر أن هناك حالة من الغضب والفوضى ستصيب البلاد إذا غادرَ الشيخ ابن عبد السلام مصر؛ فيسرع في ركابه، ويلحق به ويقنعه بالعودة إلى داره مرة أخرى بعد أن رضخ السلطان لكل مطالب الشيخ ومنها أن يتم عرض المماليك في سوق العبيد، ويشتريهم السلطان ثم يعتقهم، وبالتالي يصيروا أحرارًا. وتنتهي المسرحية عند هذا الحدث:

العز : سـأبيع كل مماليك الدولة في مزاد علني، وسـأرفع أسـعار الواحد منهم حتى تزيد ، وتمتلئ خزينة بيت المال.

السلطـــــان: وبعد التحرير ماذا تفعل؟

العـــــــز: سـأعيد عقود زواج وتجارة حتى يمتلك الواحد منهم نفسـه، حتى تصـير فعلا سـلطان للأمراء

السلطـــــان: سأفعل كل شيء تريده(1، ص94).

ـ **الحدث التاريخي:** حادثة موقف العز ابن عبد السلام من مماليك القاهرة موثق تاريخيًا، ومكتوبة في كثير من الكتب والمراجع، والذي ذكره محمد ناصف في مشاهده الأربعة الأخيرة من مسرحيته -عينة هذا البحث- موجود في مواقع تاريخية كثيرة على "الإنترنت"، ولم يضف محمد ناصف عليه أي حدث من خياله، وتكتفي الباحثة باقتباس السطور التالية: "فقد وقف العز ينادي على أمراء الدولة واحدًا واحدًا، ويغالي في ثمنهم، وتَدَخَّل الشعب في المزايدة، حتى إذا ارتفع السعر إلى أقصى غايته وعجز الأفراد عنه قام السلطان أيوب بدفع الثمن من ماله الخاص، ليتملك الأرقاءَ الأمراءَ، ثم أعتق رقابهم فصاروا أحرارًا"(52).

ومن خلال المقارنة السابقة بين ما كتبه محمد ناصف في مسرحيته "أرض الله" وبين ما كتبه المؤرخون عن حياة "العز ابن عبد السلام" يتضح أن محمد ناصف لم يضف جديدًا على حياة الرجل؛ حيث أخذَّ بعضًا منها، وخاصة المتعلقة بصدامه مع الحكام، ووضعها في صورة حوار مسرحي، أي أن مسرحية "أرض الله" ما هي إلا مسرحة لحياة العز ابن عبد السلام السياسية، بل ابتعد بأحداث الرجل التاريخية عن طبيعة المسرح؛ فالمسرح

يتطلب تكثيف عدد المشاهد بقدر الإمكان حتى يتلاءم مع طبيعة التكثيف، والإيقاع السريع للمسرح الذي لا يتطلب كثرة المشاهد؛ حيث أن كثرة المشاهد تتطلب تغييرات كثيرة في الديكور المسرحي مما يجعل المتفرج يتململ ويفقد تركيزه مع الأحداث؛ فقد استخدم المؤلف حوالي 26 مشهدًا في مسرحيته هذه، بالرغم من المسرحية لا يتجاوز عرضها على المسرح الساعة والربع، حيث أن عدد صفحاتها حوالي 70 ورقة من القطع المتوسط، كما أن أغلب مشاهد مسرحيته لم تتجاوز عدد صفحاتها أكثر من اثنتين، أي أنها مشاهد قصيرة جدًا، تصلح للدراما التليفزيونية أكثر من الدراما المسرحية، وبالتالي فإن الباحثة ترى أن مسرحية "أرض الله" هي أقرب للدراما التليفزيونية منها إلى المسرح.

القضية في مسرحية "أرض الله":

تناول محمد ناصف في مسرحيته "أرض الله" تاريخ الفقيه العز ابن عبد السلام ضد الظلم والظالمين، ولم تتوصل الباحثة إلى قضية عصرية أو غير عصرية أراد محمد ناصف أن يطرحها أو يسقطها من خلال استدعائه لتاريخ الشيخ والفقيه الديني العز ابن عبد السلام، وينتقد ألفريد فرج هذا النوع من الكتابة المسرحية؛ حيث قال: "أُلاحظ أن بعض المسرحيات، وهي قليلة لحسن الحظ، تستخدم جماليات التراث من غير مضمون حاضر أو مستقبل، ومن غير قضية صارخة أو واضحة في النص الأدبي، أو تستخدم التراث من غير منطق"(38، ص157). كما شجعَّ الكاتب الشهير عبد الرحمن الشرقاوي الرجوع إلى التاريخ، ليس لسرده - كما فعل محمد ناصف في مسرحيته عينة البحث هذا- بل لأن "اللجوء إلى التاريخ والتوجه إليه ليس من أجل معايشة وقائع مضت وانتهت ولا قيمة لها بعد، ولكن هذا اللجوء وهذه الهجرة هي "هجرة إلى واقع متكامل، ونحن نراه أمام أعيننا فجأة بكل مقوماته، واقع وضع له الزمن نهايته، وهو مع ذلك مازال يتمدد فينا وفي الأجيال القادمة"(42، ص41).

وما فعله محمد ناصف يختلف تمامًا مع رأي عبد الرحمن الشرقاوي؛ حيث هاجر محمد ناصف إلى التاريخ، وعاد إلينا بجزء منه، دون أي إشارة إلى إسقاط أو مقارنة بين تاريخ العز وأي تاريخ أخر. وفي هذا السياق يقول فرج عمر فرج: "إن اللجوء إلى التاريخ لا يعنى أن أخذه كما هو، وإلا أصبح الأمر لا يعدوا إلا أن يكون سردًا تاريخيًا لحقبة زمنية ماضية، وفى نفس الوقت لا يعنى أيضًا اللجوء إلى التاريخ أن نتفادى الأحداث التاريخية الهامة أو نزيّفها ونغيرها، بل المقصود هو الموائمة، بمعنى أن أختار الأحداث التاريخية التي يراها الكاتب أنها تشبه أحداث وزمان ومكان موضوع مسرحيته الجديد، الذي يريد الكاتب المسرحي أن يطرحه في نصه المسرحي"(24، ص46). وهذا الرأي لم يتحقق في مسرحية "أرض الله".

ونفس الرأي السابق قاله أيضًا عبد الرحمن الشرقاوي؛ حيث قال: "لا أحب أن أكبل المسرحية بأغلال جو التاريخ، ولكن لا أتفادى في الوقت نفسه اللمسات التاريخية"(42، ص51). وفي مسرحية "أرض الله" –عينة البحث- كبلَّ مؤلفها نفسه بأغلال التاريخ ولم يستطع أن يفك نفسه من أي جزء من هذه الأغلال، وتمسك باللمسات التاريخية دون زيادة عليها. ويرى أحمد حلاوة أن اللجوء إلى التاريخ هو أحد الطرق التي يسلكها المؤلف المسرحي للهروب من الرقابة؛ حيث "يجد المؤلف الرمز الذى يعلق عليه قضاياه، هذه القضايا التي لا تسمح الرقابة بطرحها"(35، ص26). والرمز كما يعرفه أحمد أبو زيد هو "كل ما يحل محل شيء آخر في الدلالة عليه، لا بطريق المطابقة التامة وإنما بالإيحاء أو بوجود علاقة عرضية أو متعارف عليها"(34، ص5). ومسرحية "أرض الله" لم يتحقق فيها أي رمز أو أي إيحاء أو بأي علاقة عرضية بين تاريخ العز وبين أي تاريخ أخر.

أما عبد العزيز حمودة فيرى عكس ما فعله محمد ناصف في استلهامه للتاريخ؛ حيث يرى أن العودة للتراث هي "عملية إبعاد زمنى للنص المسرحي، هروبًا من مقص الرقيب بالدرجة الأولى، التي أصبحت يده أكثر ثقلًا في تعامله مع النصوص السياسية، وفى ذلك الإبعاد الزماني يتم تفريغ المادة التاريخية أو الأسطورية من مضمونها التاريخي الكامل ثم إعادة ملئها أو شحنها بالموضوع السياسي المعاصر"(43، ص12). وإذا طبقنا رأي حمودة على مسرحية "أرض الله" لن نجد فيها أي إسقاط سياسي يذكر؛ حيث لم تلاحظ الباحثة أي ومضة تدل على أن الزمن غير الزمن أو أن الشخصيات التاريخية الموجودة بالمسرحية ترمز إلى أي شخصيات أخرى غير

ذاتها، أو أن المكان التاريخي بها يرمز لمكان أخر غير المكان الذي دارت فيه الأحداث التاريخية للفقيه الديني "العز ابن عبد السلام".

أما إيحاء محمد ناصف أن مسرحيته تنتمي إلى مسرح الاسقاط السياسي، فهو إيحاء خادع؛ فقد أراد أن يوهم المتلقي أو ربما أوهم نفسه أن مسرحيته هذه تنتمي إلى مسرح الإسقاط السياسي؛ وذلك عندما كتب عدة سطور – تحت اسم "تصدير إجرائي"- قبل بداية مسرحيته يقول فيها: "هذه المسرحية لا تلتزم بالتسلسل التاريخي، لكنها تأخذ من أحداثه وتشكل منه حسب رؤيتها الخاصة لأنها تتعامل مع ظروف عصور مختلفة وظروف أمة في غاية السوء تداعت عليها سائر الأمم في تلك المرحلة"(1، ص9)؛ حيث قرأت الباحثة المسرحية عينة البحث قراءة تحليلية متأنية، وحاولت أن تستنبط وتستدل من بين سطور وكلمات وأحداث وشخصيات وزمان ومكان وموضوع المسرحية أي شيء يرمز إلى أي موضوع أخر غير الموضوع التاريخي الذي تناولته فلم تتوصل إلى أي شيء، هذا من ناحية، ومن الناحية الأخرى، والأهم، فإن هذا التصدير لن يُعرض على جمهور المسرحية عندما يتم عرضها على خشبة المسرح، وبالتالي لن تصل إليه تلك الكلمات التي كتبها المؤلف في هذا التصدير وأراد بها أن يُقنع القارئ أن مسرحيته تنتمي إلى مسرح الإسقاط السياسي. وحتى عندما تعمدَّ المؤلف أن لا يذكر أسماء السلاطين الحقيقية في مسرحيته، وأشار إليهما بأسماء السلطان1، السلطان2، والسلطان3، حتى هذا لا يجعل المسرحية تنتمي إلى مسرح الإسقاط السياسي؛ لأن هذه الأسماء لم ترمز إلا إلى الحكام الأصليين الذين تعاملوا مع الشيخ العز ابن عبد السلام.

كما أن "كاتب مسرح الإسقاط السياسي يعمل على الربط بين الماضي والحاضر، وينبه المشاهد لمسرحه إلى ما في عناصر القضية من تشابه مع الواقع الذى يعيشه، أي أن الماضي والحاضر يلتقيان في اطار واحد؛ ذلك لأن الزمان والمكان يتحطمان نهائيًا؛ فيُستدعى الماضي إلى الحاضر أو يمتزج فيه فإذا هما واحد"(7، ص142). وفي مسرحية "أرض الله" لم يربط ناصف بين الماضي والحاضر، ولم يستدعي الماضي إلى الحاضر، ولم يحطم زمان ولا مكان؛ وبالتالي لا تنتسب هذه المسرحية إلى مسرح الإسقاط السياسي في شيء. أما كونها مسرحية سياسية أو تاريخية فهذا ما نستنتجه من خلال تعريف المسرح السياسي في السطور التالية.

إن المسرح السياسي له تعريفات عديدة وغير محددة، وقد اختلفت أراء النقاد المسرحيين حول تعريفه؛ حيث يعرفه سمير سرحان بقوله "إنه مسرح أفكار تلقي من فوق خشبة المسرح كما تلقي الخطابة، كما أنه توضيح للرؤيا الاجتماعية والسياسية في بلد ما"(14، ص155). ويختلف فرج عمر فرج مع رأي سمير سرحان؛ حيث يقول" إن المسرح السياسي ليس كالخطابة، ونحن لا ننكر أن هناك بعض الخطابية في عروض سياسية ليست بالقليلة وخاصة في مسرح بريخت الملحمي ، لكن هناك عروض كثيرة تجمع بين الشكل والمضمون ، فتقدم الفكرة أو الغرض السياسي في إطار فني ممتع متكامل العناصر، أما أن يكون المسرح كالخطابة فما الداعي إذًا لهذا الجهد والفكر والتعب من جانب القائمين على العمل المسرحي؛ فالأجدر بهم أن يخرج واحد منهم علي الجمهور (وليكن المؤلف مثلًا) ويخطب في الجمهور، كما أن تصور المسرح السياسي بأنه يوضح الرؤى الاجتماعية والسياسية ليست كافية ، فالمسرح السياسي لا يعبر عن هذا فقط ، بل يناقش أيضا الواقع الفعلي سواء أكان سياسيًا أو اجتماعيًا أو اقتصاديا .. الخ، من أجل الوصول إلي الأفضل أو تمويه هذا الواقع أو تغيير صورته من أجل تضليل الرأي العام"(24، 41). ويتفق رأي عزيز خيون مع رأي فرج عمر؛ حيث يقول خيون: "إن المسرح بجميع أشكاله هو مسرح سياسي"(44، ص133).

ويرى ثروت أباظة أن كل الأدب سواء كان مسرحًا أو شعرًا أو رواية أو قصة يعتمد في الأساس علي السياسة أعظم اعتماد ، حيث قال: "إن حياة الناس نفسها هي سياسة، بل المجتمع كله ما هو إلا سياسة، ولما كان الأدب والفنون هما انعكاس لهذا المجتمع؛ فبالتالي فإن الأدب والفنون ما هما إلا سياسة، والسياسة هي حياة الناس ومجتمعهم. والأديب هو نبض هؤلاء الناس، وهو مرآة هذا المجتمع الصادقة، وكل أديب يقف بناحية عن السياسة يقف بناحية عن عصره جميعًا ويصبح شيئًا هلاميًا لا عصر له"(10، ص241). ويتفق سعد الله ونوس مع رأي ثروت أباظة؛ فقد قال: "إن المسرح منذ نشأته كان سياسيًا"(12، ص90). كما رأي أحمد العشري أن المسرح وُلدَّ سياسيًا؛

حيث قال: إن كل المسرح ما هو إلا إفرازات سياسية متفاوتة، وتكاد جميع المسرحيات أن تكون منذ نشأتها حتى الآن قد مست السياسة من قريب أو بعيد، بدرجة أو بأخرى، وحتى الأعمال التي ادعي أصحابها أنها بعيدة عن السياسة هي في نفس الوقت سياسية؛ لأنها اتخذت موقفًا حتى لو كان من بعيد"(6، ص9). ورأت نهاد صليحة أن "المسرح ليس مجرد عاكس للسياسة بل صانع لها"(48، ص 119).

وإذا طبقنا التعريفات الأخيرة للمسرح السياسي على مسرحية "أرض الله" نجد أنها مسرحية سياسية؛ باعتبار أن كل المسرحيات هي مسرحيات سياسية -طبقًا للتعريفات السابقة- ولكنها تبتعد تمامًا عن مسرح الإسقاط السياسي؛ لأن مسرح الإسقاط السياسي يعتمد اعتمادًا رئيسًا على الرجوع إلى التاريخ والتراث ليستمد منها أحداثًا تساعد الكاتب في عرض قضيته التي أراد التعبير عنها، وهذا ما عبر عنه الكاتب المسرحي ألفريد فرج بقوله: "إننا لا نستلهم التراث لكي ننظر إلى الخلف أو التغني بعصور مضت، أو بالحكايات القديمة، وإنما لكي ننظر إلى الأمام، فالمسرح ينظر إلى الأمام دائمًا، ويدفع الفكر باتجاه التطور ويدفع الفكر باتجاه المستقبل"(38، ص15).

نبذة مختصرة عن البناء الدرامي لمسرحية "أرض الله":

البنية الدرامية للمسرحية: "هي الجسم النصي الدرامي المتكامل في حد ذاته ، والذي يتألف من عناصر مرتبة ترتيبًا خاصًا، وطبقًا لقواعد خاصة، ومزاج معين، كي يحدث تأثيرًا معينًا في الجمهور"(2، ص65). ومن عناصر البناء الدرامي: الفكرة الأساسية للمسرحية -وقد تناولتها الباحثة في بداية البحث-، الصراع، الشخصيات الدرامية، الحوار المسرحي، الوحدات الثلاث الكلاسيكية.. إلخ. وفي السطور التالية ستتناول الباحثة هذه العناصر بشكل مختصر جداً؛ لأنها غير مؤثرة كثيراً في اشكالية البحث الرئيسة.

الحبكة في مسرحية "أرض الله": اعتمد محمد ناصف في حبكة مسرحية "أرض الله" على تسلسل الأحداث التي حدثت للشخصية التاريخية "العز ابن عبد السلام"؛ حيث وضع أحداث مسرحيته هذه كما حدثت في الواقع التاريخي بالضبط دون أي إضافات منه؛ لذا جاءت الحبكة منطقية؛ فالحبكة هي "بنية التفاعل أو ترتيب الأحداث للقصة"(32، ص159). والمسرحية ذات الحبكة الجيدة هي التي تبنى على مجموعة من الأحداث التي يرتبط بعضها ببعض ارتباطًا عضوياً بحيث تسير في حلقات متتابعة، حتى تؤدى إلى نتيجة منطقية، "فالعمل الدرامي هو أحداث متتابعة منظمة، مترابطة ترابطًا وثيقًا مع مسلك الشخصيات، بحيث تبرر هذا المسلك تبريرًا مقنعًا"(29، ص134).

الصراع في مسرحية "أرض الله": "الصراع الدرامي هو مناضلة بين قوتين متعارضتين، ينمو بمقتضى تصادمهما الحدث الدرامي"(2، ص162) ، وفي مسرحية "أرض الله" لم يصنع مؤلفها محمد ناصف صراعًا من خياله، فالصراع بين الشخصيات الدرامية كان هو نفس الصراع الذي حدث بين الشخصيات التاريخية التي استدعاها.

الموضوع في مسرحية "أرض الله": لم ترصد الباحثة أي فكرة جديدة أو موضوع جديد أو أي شيء يرمز إلى رؤية تختلف عن موضوع المسرحية التاريخي.

الشخصية الدرامية في مسرحية "أرض الله": الشخصية هي "تنظيم داخل الفرد له قدر من الثبات والدوام لمجموعة من الوظائف أو السمات أو الأجهزة الإدراكية النزوعية والانفعالية والمعرفية والدافعية والجسمية التي تحدد طريقة الفرد في الاستجابة للمواقف وأسلوبه الخاص في التكييف مع البيئة وقد ينتج عن هذا الأسلوب توافق أو سوء توافق"(8، ص18). والشخصية الدرامية تتكون بشكل متقطع من معلومات موزعة على طول النص الأدبي؛ وفي مسرحية أرض الله لم يبذل محمد ناصف جهدًا في رسم شخصياتها؛ لأنها شخصيات تاريخية، كانت لها سماتها ومعالمها الثابتة، وتصرفاتها التي نقلها لنا التاريخ، وقد نقلها ناصف كما هي.

الوحدات الثلاث الكلاسيكية: وهي وحدات: الموضوع، الزمان، والمكان. وبخصوص وحدة الموضوع، والمقصود بها أن المسرحية "تنظر في قضية واحدة فحسب، ولا تتعدد الحبكات"(46، ص33)؛ فقد تناول محمد ناصف جانب مضيئ في حياة العز ابن عبد السلام في مسرحية "أرض الله"، وهو محاربته ضد الظلم وضد فساد السلطة الحاكمة، وهو بهذا يعتبر تناول موضوع واحد فقط من حياة العز ابن عبد السلام، وبالتالي فإن وحدة الموضوع تحققت في المسرحية. وبخصوص وحدة المكان، فلم تتحقق؛ حيث تعددت مشاهد مسرحية "أرض الله"، بشكل أفقدها سمة المسرحية الجيدة من حيث الشكل؛ حيث جاءت مشاهدها قصيرة للغاية، وكثيرة للغاية؛ مما جعلها تقترب من الدراما التليفزيونية منها إلى الدراما المسرحية. أما وحدة الزمان، فلم يكن لها وجود في المسرحية (عينة البحث)، حيث دارت المسرحية في أكثر من دورة شمسية واحدة، بل دارت في زمن كبير، هو زمن يقارب العمر الذي قضاه العز ابن عبد السلام في هذه الدنيا.

الحوار الدرامي في مسرحية "أرض الله": المعروف أن الحوار الدرامي "يمثل نموذجًا نقيًا للمحادثة الاجتماعية، ويقترب الحوار على نحو محدود جدًا مما يحدث من لقاءات كلامية في الحياة اليومية"(33، ص276). وقد نجح محمد ناصف أن يأتي بحوار مكثف ومعبر عن الحدث في أقصر جمل ممكنة. وهذا يُحسب له؛ لأن "حجم ودرجة التكثيف من عناصر إثارة اهتمام المشاهد وفضوله، وعادة ما يكون ذلك نوع من التشويق"(18، ص50).

دلالة عنوان مسرحية "أرض الله":

للعنوان دلالة كبرى للمسرحية فهو الذى يشد انتباه المتلقي سواء كان القارئ أو المشاهد لها؛ حيث أن العنوان هو الذي عتبة النص الدرامي، "ولا يمكن الدخول إلي العمل الأدبي إلا بالمرور على عتبته"(30، ص64) ؛ فعنوان المسرحية يكشف عن مضمونها وعن أغوارها ، ولأهمية العنوان للنص الأدبي، "اعتبره كثير من النقاد أن كل قراءة بدونه قراءة ناقصة مشوهة للنص"(4، ص5). **وعنوان المسرحية عينة البحث هو "أرض الله"**، ويقصد به مؤلفها بأن أرض الله تتسع للجميع، وليست حقراً على أحد، والمكان الذي لا يجد فيه الإنسان نفسه أو حريته عليه أن يبحث عن نفسه وحريته ورزقه في مكان أخر، تماماً مثلما فعل العز ابن عبد السلام في مسرحية أرض الله، فقد ترك الشام ورحل إلى مصر، ولم يبال بهذا، بل وجدَّ نفسه في مصر أكثر من بلاد الشام، وعندما شرع سلطان مصر طرده من مصر لم يغضب، بل شرعَّ في مغادرة مصر، غير مبال بالعقاب، وقد تبعه كثير من أهل مصر، عندما شعروا بأن أرض مصر أصبحت غير مناسبة لهم؛ فالنص يدعوا إلى الرحيل عن أي أرض لا تجد فيها نفسك، وأبحث عن أرض تجد فيها ذاتك، فأرض الكون كلها هي ملك الله وحده،

العـــــز: إلى أين أسير ؟

الغـــرز: أى مكان ترغب..

العـــــز: أرض الله واسعة.. هل أقصد مصر؟
الغـــرز: اهبطوا مصر فإن لكم فيها ما سألتم
العـــــز: نعم.. ألم تكن أرض الله واسعة(1، ص38).

نبذة عن استدعاء الشخصية التاريخية في باقي مسرحيات محمد ناصف التاريخية:

وما فعله محمد ناصف في مسرحيته –عينة البحث- "أرض الله" فعله في باقي مسرحياته التاريخية؛ حيث استدعى في مسرحيته **"حضرة صاحب البطاقة"** شخصية الحاكم بأمر الله؛ وسرد جزء من تاريخها في صورة حوار مسرحي؛ حيث لم يرسمها بنفسه؛ بل أخذها من الواقع ووضعها في نصه المسرحي كما هي بكل تناقضاتها، وخصائصها؛ فهو كان ينقل تاريخ شخصية الحاكم بأمر الله التاريخية؛ حيث لاحظت الباحثة تطابق أحداث المسرحية تطابقًا تامًا مع الأحداث التاريخية لحياة الحاكم بأمر الله، وأن مؤلفها لم يضف إليها أي أحداث من خياله، كما أنه لم يسقطها سياسيًا على أي عصر من العصور الأخرى غير العصر الذي دارت فيه الأحداث التاريخية، فهي مجرد مسرحه لحياة الحاكم بأمر الله، والحاكم بأمر الله هو المنصور بن العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله معد بن المنصور إسماعيل بن القائم بأمر الله محمد بن عبيد الله المهدي، ولقبه الحاكم بأمر الله وكنيته أبو علي، (985 - 1021)[21، ص ص 43-47]، والمعروف عن هذا الحاكم أنه حظرَّ استخدام النبيذ وغيرها من المشروبات المسكرة. كما منع النساء من الظهور أمام الجمهور مع كشف وجوههن، وأغلق العديد من النوادي وأماكن الترفيه"[3، ص205]. وقد عُرف عنه أيضًا أنه كان "شخصيه عجيبة جمعت بين متناقضات عديدة، مما يدل على أنه كان غير متزن العقل، كما اتسم حكمه بالقسوة بالعنف وكثرة سفك الدماء[11، ص153]. وقد تعددت روايات كثيرة حول موته، فقد قيل أنه قُتل على يد اخته ست الملك لأسباب شخصية، ولكن الرواية الأشهر تقول أنه "خرج كعادته في الليل على حماره إلى جبل المقطم ليتدبر في ملكوت الله ولم يعد، فأُرسِل الجند يقتفون أثره لعلهم يجدوه، فلم يعثروا إلا على عباءته الملطخة بالدماء، وتلت هذه الواقعة أربع سنوات اعترف بعدها أحدهم بقتل الحاكم[21، ص ص 87-88].

وفي مسرحيته **"وداعًا قرطبة"** استدعى محمد ناصف الشخصية التاريخية "الحكم المستنصر **بالله"** (302 - 366هـ / 915 - 976م)، وهو الحكم بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان بن الحكم بن أبي العاص بن أمية، وهو تاسع أمراء الدولة الأموية في الأندلس وثاني خلفاء الأندلس بعد أبيه عبد الرحمن الناصر لدين الله الذي أعلن الخلافة في الأندلس عام 316هـ. وقد اشتهر المستنصر بالله بعشقه للعلم واقتناء الكتب، وفي عصره وصلت الخلافة الأندلسية إلى أوج روعتها، وبسطت سيادتها السلمية على سائر أسبانيا[26، ص507]. وفي هذه المسرحية أيضًا كان ناصف أمينًا في استدعاء الشخصية التاريخية بكل سماتها وخصائصها وأحداثها؛ حيث لم يضف إليها أي سلوك يخالف سلوكها، أو أي أحداث غير الأحداث التي وقعت لها، فشخصية المستنصر بالله نقلها كما هي موجودة في التاريخ. كما استدعى ناصف في نفس المسرحية شخصية "هشام المؤيد"؛ وهو أبو الوليد هشام المؤيد بالله (354هـ/965م- 403هـ/1013م) عاشر الحكام الأمويين للأندلس وثالث خلفائهم في قرطبة، خلف أباه الخليفة الحكم المستنصر بالله عام 366 هـ، وهو في سن الثانية عشر تحت وصاية أمه "صبح". كما استدعى ناصف شخصيات تاريخية أخرى تعاملت مع هشام المؤيد، ومنهم شخصية "الحاجب المنصور بن أبي عامر"، الذي سيطر على مقاليد الحكم في ظل وجود هشام المؤيد، وأسس دولة داخل الدولة[56].

وفي مسرحية **"طلوع النهار أول الليل"** استدعى محمد ناصف شخصية "عبد الله بن المعتز بالله" وهو أحد خلفاء الدولة العباسية، ومعروف باسم "أبو العباس"، وقد ولد في بغداد سنة 247 هـ، الموافق سنة 861م ، وكان ابو العباس شاعرًا وأديبا، وقد اعتبره البعض زعيم المدرسة البيانية في الحكم على الأدب وفي تذوقه[9، ص218]. وقد شهد له شوقي ضيف، بأنه كان شاعرا عالما من أصحاب البديع[17، ص185]؛ وقال عنه عميد الأدب العربي د. طه حسين: "إن عبد الله بن المعتز كان من كبار العلماء في القرن الثالث[19، ص170]. وقد اشتهر عبد الله ابن المعتز بخليفة الليلة الواحدة أو حاكم الليلة الواحدة؛ حيث آلت إليه الخلافة العباسية لعدة سويعات، وبالتحديد لمدة ليلة واحدة، حيث هجم عليه أعوان ورجال المقتدر بالله وقتلوه واستولى المقتدر على الخلافة في سنة 909م[22، ص380].

وبالتالي؛ "لم تتعدَّ مدة خلافة عبدالله بن المعتز سوى يوم وليلة، ولتنتهي حياة هذا الشاعر المغامر في التاسعة والأربعين من عُمرِه.(27، ص94)

نتائج البحث:

- استمد محمد ناصف موضوع مسرحيته "أرض الله" من استدعاء شخصية الفقيه الديني "العز ابن عبد السلام" من التاريخ، وجميع أحداثها مستمدة من سيرته التاريخية؛ وخاصة الجزء الخاص بصدامه مع الحكام.
- مسرحية "أرض الله" ما هي إلا مسرحة لجزء من حياة العز ابن عبد السلام السياسية.
- استخدم المؤلف حوالي 26 مشهدًا في مسرحيته عينة البحث.
- مسرحية "أرض الله" هي أقرب للدراما التليفزيونية منها إلى المسرح.
- لم تتوصل الباحثة إلى قضية عصرية أراد محمد ناصف أن يطرحها أو يسقطها من خلال استدعائه لتاريخ الشيخ والفقيه الديني العز ابن عبد السلام.
- مسرحية "أرض الله" تبتعد تمامًا عن مسرح الإسقاط السياسي.
- ما فعله محمد ناصف في مسرحيته –عينة البحث- "أرض الله" فعله في باقي مسرحياته التاريخية؛
- وضع محمد ناصف أحداث مسرحيته "أرض الله" كما حدثت في الواقع التاريخي بالضبط دون أي إضافات منه؛ كما أنه لم يصنع صراعًا جديدًا من خياله.
- لم يرصد البحث أي فكرة جديدة أو موضوع جديد أو أي شيء يدل على أن محمد ناصف قام بتوظيف والاستفادة من استدعائه للشخصية التاريخية في مسرحه.
- محمد ناصف لم يبذل جهدًا في رسم شخصيات مسرحيته "أرض الله"؟
- نجح محمد ناصف في كتابة حوار مسرحي مكثف ومعبر عن الحدث في أقصر جمل ممكنة.
- تعددت مشاهد المسرحيات التاريخية عند محمد ناصف بشكل أفقدها سمة المسرحية الجيدة من حيث الشكل.

المصادر والمراجع

أولًا: المصادر:

1- محمد عبد الحافظ ناصف: مختارات مسرحية، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 2018.

ثانيا : المراجع العربية:

2- ابراهيم حمادة: معجم المصطلحات الدرامية والمسرحية، القاهرة، دار المعارف، 1985.
3- ابن إياس: بدائع الزهور فى وقائع الدهور، ج1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1982.
4- أبو المعاطي خيري الرمادي: عتبات النص ودلالاتها في الرواية العربية المعاصرة.. رواية تحت سماء.
5- كوبنهاجن.. نموذجاً، السعودية، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم اللغة العربية وآدابها.
6- أحمد العشري: المسرح السياسي في الوطن العربي، القاهرة، دار المعارف، 1989.
7- أحمد العشري: مقدمة في نظرية المسرح السياسي، القاهرة، الهيئة العامة للكتاب، 1983.
8- أحمد عبد الخلق: استخبارات الشخصية، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، 1989.
9- بدوي طبانة: دراسات في نقد الأدب العربي من الجاهلية إلى القرن الثالث، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، ط4، 1965.
10- ثروت أباظة: الأعمال الكاملة، ج1، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، 2001م.

11- جمال الدين الشيال: تاريخ مصر الاسلامية، ج1، دار المعارف، القاهرة 1966.
12- سعد الله ونوس: الأعمال الكاملة .. مج3، سوريا، الأهالي للطباعة والنشر، 1996.
13- سمير حسين: بحوث الاعلام.. دراسات في مناهج البحث الإعلامي ،ط3، القاهرة، عالم الكتب، 1999.
14- سمير سرحان: المسرح المعاصر، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986.
15- سيد علي إسماعيل: أثر التراث المصري علي المسرح المصري المعاصر، القاهرة، مؤسسة هنداوي، 2017م.
16- صادق القاضي: عتبات النص الشعري، القاهرة، مؤسسة أروقة للدراسات والترجمة والنشر، 2013.
17- شوقي ضيف: الفن ومذاهبه في الشعر العربي، بيروت، مكتبة الأندلس، 1956، ط3.
18- شكرى عبد الوهاب: النص المسرحى، القاهرة، دار فلور للنشر والتوزيع، ط 2، 2001
19- طه حسين: من حديث الشعر والنثر، القاهرة، دار المعارف، 1936.
20- عبد الرحمن سيد سليمان: مناهج البحث، القاهرة، عالم الكتب، 2014.
21- عبد المنعم ماجد: الحاكم بأمر الله، الخليفة المفتري عليه ، القاهرة، مكتبة الأنجلو المصرية، 1982.
22- عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي.. العصر العباسي، بيروت، دار العلم للملايين، ط4، 1981.
23- علياء عبد الفتاح رمضان: مهارات كتابة البحث الإعلامي، القاهرة، عالم الكتب، 2019.
24- فرج عمر فرج: العلاقة بين الحاكم والمحكوم في المسرح المصري، القاهرة، رسالة ماجستير، جامعة المنوفية، كلية التربية الوعية، 2009.
25- محمد شفيق: الخطوات المنهجية لإعداد البحوث الاجتماعية، الإسكندرية، 1999.
26- محمد عبد الله عنان: دولة الإسلام في الأندلس، الجزء الأول، القاهرة، مكتبة الخانجي، 1997م.
27- محمد عبدالعزيز الكفراوي: عبدالله بن المعتز العباسي، القاهرة، دار نهضة مصر، 1957م.
28- محمد عويس: البحث العلمي وممارسة الخدمة الاجتماعية، القاهرة، دار النهضة العربية، 1998.
29- محمد غنيمي هلال: الأدب المقارن، القاهرة، نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، ط8، يوليو 2007م.
30- ممدوح فراج النابي: جماليات النص، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2015
31- لاجوس اجرى: فن كتابة المسرحية، ترجمة: درينى خشبة، الكويت، دار سعاد الصباح، 1992.

ثالثًا : المراجع المترجمة:

32- آرثر آسا بيرغر: وسائل الإعلام والمجتمع، ترجمة: صالح أبو إصبع، الكويت، عالم المعرفة، مارس 2012.
33- كير إيلام: سيمياء المسرح والدراما، ترجمة: رئيف كرم، لبنان، المركز الثقافي العربي، 1992.

رابعًا: السلاسل والدوريات:

34- أحمد أبو زيد: الرمز والأسطورة والبناء الاجتماعي، الكويت، مجلة عالم الفكر، المجلد 16، ع 3 ـ أكتوبر، نوفمبر، ديسمبر 1985.
35- أحمد حلاوة: توظيف الأشكال الشعبية في المسرح العربي، القاهرة، مجلة مسرحنا، وزارة الثقافة، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ع41، الاثنين 15 ربيع الآخر، 21 ابريل 2008.
36- أحمد فياض المفرجي: الحياة المسرحية في العراق 1921 ـ 1958، بغداد، مجلة الأقلام، وزارة الثقافة والإعلام ، العدد 6، حزيران ، 1986م ، السنة 21.
37- أسماء عبد المنعم أبو الفتوح: مسرحيتا "مسافر ليل" لصلاح عبد الصبور و"الفلنكات" لمحمد ناصف، القاهرة، مجلة كلية التربية النوعية، ج المنوفية، ع8 أكتوبر 2016م، ج1.
38- ألفريد فرج: حوار لم ينشر، القاهرة، مجلة ضاد، اتحاد كتاب مصر، ع2، السنة الأولى، يناير 2006.
39- المجلس الأعلى للثقافة: صورة الأنثى في التعليم الأساسي، القاهرة، المركز القومي لثقافة الطفل، مج29، 2005.

40- أمين بكير: القاعدة والاستثناء ونظرية المسرح الملحمي في مصر، القاهرة، مجلة المسرح، العدد 110، يناير 1998، بدون جهة نشر.
41- سمير سرحان: المسرح بين اليوم والغد، القاهرة، مجلة الجديد، الهيئة العامة للكتاب، ع 10 السنة الأولى، يونيه 1972
42- عبد الرحمن الشرقاوي: عبد الرحمن الشرقاوي يتحدث عن مسرحه الشعري، القاهرة، مجلة المسرح، الهيئة المصرية للتأليف والنشر، ع 67 ، نوفمبر 1969.
43- عبد العزيز حمودة : أخر حوار، القاهرة، مجلة ضاد ، اتحاد كتاب مصر، ع 6.
44- عزيز خيون: المسرح والمواجهة، الشارقة، مجلة الرّافد، جمادي الثانية – 1428هـ/ يونيو 2007م.
45- مجدى وهبة: شكسبير والسياسة، مجلة المسرح، القاهرة، مسرح الحكيم، ع28، أبريل 1966.
46- محمد محمد عناني: "التركيب والتحليل في المسرح المصري"، **مجلة المسرح**، القاهرة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، العدد العاشر، أكتوبر، 1964.
47- محمود دياب: مقابلة مع محمود دياب حول أعماله وأفكاره المسرحية، القاهرة، مجلة المسرح، المؤسسة المصرية للتأليف والنشر، 1969.
48- نهاد صليحة: أنواع من مسرح اليسار، القاهرة، مجلة إبداع، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ع 5، مايو 1986.
49- هناء عبد الفتاح: ألف ليلة وليلة والمسرح العربي، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مجلة "الفنون الشعبية"، عدد 63/62، يناير، يونيه 2002.

خامسًا: مواقع الانترنت

49- Http://alqudslana.com/index.php?action=article&id=3357
50- http://www.diwanalarab.com
51- https://ar.wikipedia.org/wiki/العز بن عبد السلام.
https://ar.wikipedia.org/wiki52- الحاكم بأمر الله
53- https://www.hindawi.org/books/86392413/10
54 -http://www.diwanalarab.comحسين ميرزائى: التناص الأدبي
55- https://ar.wikipedia.org/wiki هشام_المؤيد_بالله
56 -56-https://www.youm7.com/Tags/Index?id=30845&tag

Summoning historical figures in the Mohammed Abdel-Hafez Nasif theater

The play "The Land of God" ... as an example

Prepare

Dr. Noha Mostafa Mahrous Ebrahim

Lecturer of The Theatre, Faculty of Specific Education Al–Menufia University
dnohaaglan1983@gmail.com

Abstract:

Research problem: The problem of this research crystallized in the following main question: How did Muhammad Abdel-Hafez Nasif employ his inspiration for history in his theatrical texts?. Importance of the research: The research discusses an important issue, which is the issue of theater writers' inspiration for history in their theatrical works. The research also deals with the extent to which the author Muhammad Nasif benefited from summoning historical figures in his theater. Research objectives: Identify the most important issues and problems that Muhammad Nasif wanted to raise through his plays, the research sample. And also an examination of how Mohamed Abdel-Hafez Nasif employs historical figures in his theater. Research limits: Theatrical texts, research sample . Research type and methodology: This research is a descriptive research in content analysis. This research is also considered historical research. Research community: All the theatrical scripts composed. The research sample and the method of its selection: The researcher chose - randomly speaking - the play "The Land of God" from among five texts in which Muhammad Abd al-Hafez Nasif summoned the historical figure. research results:The research found that all the events of the play "The Land of God" are derived from the historical biography of "Al-Ezz Ibn Abd Al-Salam . Muhammad Nasif did not add anything new to the life of Izz Ibn Abd al-Salam. The play "The Land of God" is nothing but a dramatization of the political life of Al-Ezz Ibn Abd Al-Salam. The play "The Land of God" is closer to television drama than to theater . The research did not reach a modern issue that Muhammad Nassef wanted to raise or drop by summoning the history of the sheikh and the religious jurist al-Ezz Ibn Abd al-Salam. The play "The Land of God" is completely distant from the political theater of projection.

Keywords: historical figures , the Mohammed Nasif theatre